مطبَّات آدمية

لم يولد المعلم كائناً تربوياً، إذ للإنسان فيه مساحة تكبر أو تصغر بمقدار متفاوت تحدده متغيرات الحياة وثوابتها. وللإضاءة على هذا الجانب، الذي لا يكتسب أهميته من وصفه بـ «المهم» ، تخصص «رؤى تربوية» هذا الركن من صفحاتها لتمنح المعلمين ساعة بوحٍ من التداعي الحر، حيث يكتبون فيه تجربتهم التربوية في إطارها الاجتماعي الخلاق، الذي لا ينأى بها من تحت سقف الواقع المهني، إلا ليقرّبها من فضاء الممكن الإنساني الذي إن لم يصنعها صناعةً، جادلها وأسهم في بلورتها كما هي كائنة.

«لا أحب القلق، فالطريق طويل وكثير المطبّات... وأكثر تلك المطبّات صعوبة في الاجتياز، المطب الآدمي الذي تبرزه المفاجأة في كثير من الأحيان على شكل طابور من السيارات التي تتطلّع لتجاوز الحاجز الإسرائيلي على مدخل مستوطنة «عوفره» المقامة على أراضي قريتي عين يبرود وسلواد. المهم أن عزاء إنجاز المهمات البيتية الصباحية في خدمة الوالدين يجعل أي انتظار على الحاجز انتظاراً باهتاً، وربما ممتعاً في بعض الأحيان، لأنه استمتاع باللاجدوى التي يمارسها الجنود على الذاهبين إلى أعمالهم بكل ما يعتقدون فيها من جدوى، وما هو كائن فيها بالفعل...

أهم ما في الأمر، أن الجنود لا يمتلكون الرؤيا ولا حتى الحدس لمعرفة ماهية الكائنات البشرية التي يستوقفونها. ويبقى المعلم حاملاً هويته الوطنية التي بلا بطاقة يطلبها الجنود، يرفد بها طلابه إلى جانب ما يشحنهم به من قيم الديمقراطية ومعنى المواطنة ومفهوم الوطن. فالمعلم هو صاحب الدور الأساسي في العملية التربوية وما يحتضنها من أجواء، فهو المخطط والمصمم والمنظم، وهو خالق البيئة الصفية ومدير الصف على نحو فعال.. ذلك إن توافرت لديه الاحتياجات الأساسية المتعلقة بالتأهيل العلمي والتربوي وما يلزمه من دعم مالي يوفر له الحياة الكريمة.

والحديث عن الاحتياجات يقودني إلى الحاجة للمشاركة الإنسانية التي تتناول العملية التعليمية من حيث هي مساحة للتقاطع بين المعلم والإداري، فالإداري المؤهل تربوياً والمتفهم يخلق تقاطعا إيجابياً ويستحدث أجواء بناءة للعملية التعليمية، وإلا فيكون سلبياً ومعيقاً. وهذا، بطبيعة الحال، يتقاطع مع عملية التوجيه أو الإشراف، والتي لا أزال أراها في إطار التفتيش الذي يحمل المعلم على القيام بما يرضي المفتش. أما الإشراف من منظوري، فأعتقد أنه لا بد أن يكون قبل العملية التعليمية وأثناءها وبعدها ليكون في إطاره الصحيح.

من ناحية أخرى تعلق في الذهن العديد من عناصر البيئة الصفية المتعددة والمتشابكة، والتي يجب أن يكون على رأس أولويات بحثها والاهتمام بها الاحتياجات النفسية والجسدية للطلاب، والتي تؤثر بفاعلية في سلوكهم الصفي وحياتهم الاجتماعية. ولكن، في الوقت نفسه، فإن احتياجات المعلم في البيئة الصفية ضرورية لإخراجه من حالة الأرق النهاري المتواصل، فمساحة الحركة التي قد لا تزيد على (٥٠ سنتيمتراً) بين اللوح والدروج، وكذلك مسألة العنف أو الاحتكاكات غير الودية بين الطلاب.. كلها مسائل تسهم في عدم اكتمال المناخ التعليمي المناسب لدى المعلم.

ولا شك أن نظرة المعلم إلى المنهاج تحكم، في كثير من الأحوال، سلوكه الوظيفي. فالمنهاج بالنسبة لي، يعني منظومة المعرفة التي يمتلكها المعلم إضافة إلى المقررات المدرسية. وليكون المنهاج ناجحاً، يجب أن يلبي احتياجات الطلبة المعرفية والاجتماعية والسياسية والنفسية. ومن هنا، علينا مراجعة المنهاج وتقييمه، وبالتالي تغييره أو إبقاء بعضه وفق معايير موضوعية خاصة. في الحالة التي نعيش، أرى أن المنهاج يفتقر إلى التعبير عن الواقع السياسي، ويهمل الجانب النفسي واحتياجات الطلبة وميولهم بوجه عام.

تأخذنا المهنية أحياناً، فننأى عن ذواتنا، لكن اليوم الدراسي لا ينتهي في الساعة الثانية، لأن الاستعداد الذهني يبقى متحفزاً فينا ليل نهار.. أعود للبيت كما خرجت منه أو أصعب قليلاً، أستمع للموسيقى قبل أن ترهقني الزيارات العائلية التي تكون في الغالب دون سابق إنذار! تنقض على الأعصاب واجبات ومسائل أخرى، لكن حظي يكون وافراً إذا ما كان الوضع الصحي لوالدتي جيداً في تلك الليلة».

رجاء بصير
الطيبة ١٥ نيسان ٢٠٠٠

هي

رجاء بصير

ولدت في الطيبة/إحدى القرى الشرقية لمدينة رام الله

- تحمل بكالوريوس الأحياء والكيمياء الحيوية من جامعة بيرزيت ودبلوم التربية في تعليم العلوم من جامعة بير زيت أيضاً
- عملت خمسة عشر عاما في مدارس البطريركية اللاتينية، وتعمل الآن في مدرسة الرجاء الإنجيلية اللوثرية